

## التسرب المدرسي: ملامحه وطرق مواجهته

د. يحيى حجازي/ القدس

شبح تبدأ ملامحه بالتبلور في السنوات الأولى من حياة الفرد. كثيرة هي الأسباب التي تدفع الفرد الى التسرب من مقاعد الدراسة، تبدأ عظامها بالنمو في السنوات الأولى من حياة الطفل لتكتسي لهماً في مراحل التعلم خلال سنوات الدراسة. في هذه الورقة سنعرّف التسرب ونعرض أشكاله وأسبابه ونطرح بعض التوصيات على مستوى الأهل والمدرسة التي يمكن إن طبقت التخفيف من حدة لك الآفة المجتمعية.

عمر ابن السادسة عشر ربيعاً، ترك الصف التاسع قبل تسعة أشهر، بعد أن توصل لقناعة ذاتية بأن المدرسة لم ولن تفيده بشيء، هو لا يعرف أصلاً كيف تم ترفيعه الى الصف التاسع، فبحسب قوله لم يفلح يوماً لا بالقراءة ولا بالحساب. يعمل الآن في ورشة للكهرباء مع ابن عمه في مستوطنة معاليه أدوميم.

سلمى هي صبية يافعة من مخيم شعفاط تبلغ من العمر السادسة عشر ربيعاً، مخطوبة لابن جيرانهم الذي لم يرغب في أن تترك سلمى المدرسة بحسب قولها، ولكنها أصرت على تركها لأنها لا ترى مستقبلها في الدراسة وأن زوجها المستقبلي سيلبي لها كل احتياجاتها، قالت ذلك وهي تنظر الى خطيبها قائلة: مش هيك حبيبي؟

في مطعم على ناصية شارع السلطان سليمان، ينتظر سليم ابن السابعة عشرة صاحب المطعم الذي يعمل فيه ليفتح الأقفال فيدخل هو مسرعاً الى المطبخ لتغيير ملبسه ليبدأ بترتيب الكراسي وانزالها عن الطاولات، فهو يرفعها كل مساء عند شطفه الأرض وتنظيفه المطبخ وانتهائه من جلي الصحون والطناجر وغير ذلك من الاعمال الشاقة.

على بعد عشرات الأمتار من هناك، داخل البلدة القديمة تساعد مريم أمها في تنظيف البيت، فهي منذ أن تركت الدراسة قبل سنتين بعد الصف السابع لا تعرف ماذا تفعل فلا فرص مفتوحة أمامها للتدرب أو التعلم، فهي ترغب باستئناف دراستها ولكنها لا تعرف ما الذي عليها عمله، ولا تلمس أي تشجيع من والديها فهم بحسب ما قالت: «مسحوا أيديهم منها»، بمعنى أنهم فقدوا الأمل من رجوعها الى المدرسة ونجاحها بالدراسة.

### كيف نعرف التسرب:

يعرف المتسرب بحسب منظمة اليونسكو بأنه كل شخص لا يكمل دراسته ويترك مقاعد التعليم قبل إنهاء سنوات الدراسة. في مكان آخر، عرف القلا التسرب بأنه «انقطاع التلاميذ عن المدرسة انقطاعاً جزئياً أو انقطاعاً تاماً، مادياً أو معنوياً، بالشكل الذي لا يستطيع معه التلاميذ المتسربين أن يتموا دراستهم بنجاح محققين الأهداف المنوطة بالتعلم»<sup>1</sup>. يميز التربويون بين التسرب الفعلي والتسرب المقنع، حيث أن للتسرب المقنع أشكالاً مختلفة تتمحور كلها حول وجود الطالب جسدياً في المدرسة وغيابه عنها نفسياً وذهنياً<sup>2</sup>. وتعتبر ظاهرة التسرب المقنع أكثر خطورة من التسرب الفعلي وتتطلب تدخلات كثيرة للحد منها كما الحال مع التسرب الجسدي.

بالرغم من أن نسب التسرب في الدول العربية المحيطة بـفلسطين مرتفعة جداً، فعلى سبيل المثال لا الحصر، بلغت نسبة التسرب في الأردن على سبيل المثال (25%)<sup>3</sup>، تبقى نسبة التسرب في فلسطين للعام 2015-2016 منخفضة بحسب الاحصائيات الرسمية فهي لا تتعدى الـ 1.5%<sup>4</sup> وتعتبر هذه النسبة ضئيلة مقارنة بصورة الحال في مدينة القدس حيث إن نسب التسرب من المدارس ونسب عمالة الأطفال هناك هي الأعلى ان احتسبنا ذلك بمقياس الاحصائيات الفلسطينية أو بمقياس الاحصائيات الإسرائيلية.

يدرس في مدينة القدس في أطر التدريس العربية حوالي 115 ألف طالب وطالبة<sup>5</sup>، كما يظهر بالشكل (1) فإن أقل من النصف تقريباً يدرسون في المدارس التابعة لبلدية القدس.

1 القلا، فخر الدين، مستوى التعليم الابتدائي وانعكاساته على مشكلة الأمية، الشركة المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1977، ص 10.

2 بن عيسى علي، عمالة الأطفال وعلاقتها بالتسرب التربوي. أطروحة دكتوراة، جامعة محمد خضير بسكرة، 2016.

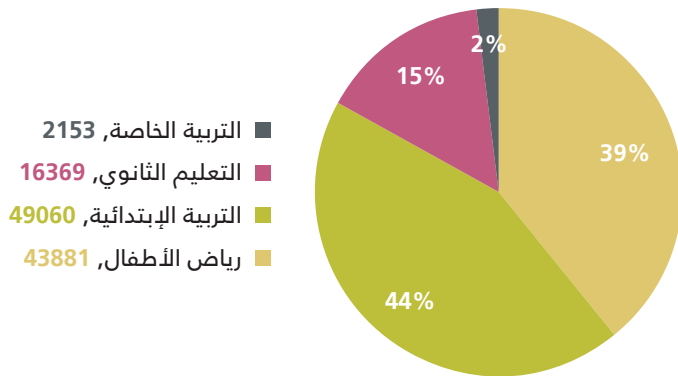
3 إدارة مركز الملكة رانبة لتكنولوجيا التعليم والمعلومات، 2015-2016

4 مركز المعلومات الوطني الفلسطيني وفا. ظاهرة التسرب من المدارس (د.ت) في <http://info.wafa.ps/atemplate.aspx?id=3207> (تم زيارة الموقع في 1-3-2017).

5 إحصائيات بلدية القدس الإسرائيلية للعام 2017

## الشكل 1:

### توزيع الطلبة بحسب المرحلة الدراسية

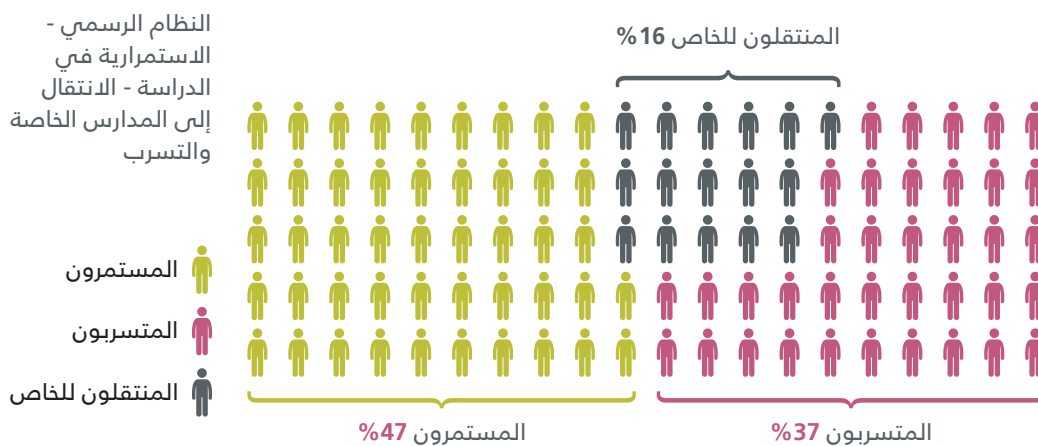


بحسب الكتاب الإحصائي البلدي للعام 2017 يدرس في كل المدارس العربية في القدس 111463 طالب وطالبة

وبحسب إحصائيات البلدية الإسرائيلية، كما هو مشار إليه في الشكل رقم (2) تصل نسب التسرب في الصفوف الثانوية الى حوالي 37%<sup>6</sup>، وفي تقارير أخرى يتم الحديث عن انخفاض ملحوظ في السنتين الآخريتين حيث كسرت النسب حاجز ال 30%. إن الملفت للنظر هو أن الغالبية العظمى للطلبة المتسربين هم طلبة المدارس التابعة لبلدية القدس الإسرائيلية مقارنة بالمدارس الخاصة والمدارس التابعة لمديرية التربية والتعليم الفلسطينية، حيث وصلت النسب الى أكثر من 50% في أكثر من مدرسة ثانوية في المدينة بين الصف التاسع والثاني عشر.

## الشكل 2:

### نسبة الطلبة المتسربين والمنتقلين والمستمرين في الصفوف الثانوية 2015



صورة الوضع بين الصفوف العاشر والثاني عشر - 2015

قبل إعطاء التوصيات لا بد لنا أن نفهم أهم الأسباب التي تقف وراء تلك الآفة المجتمعية التي إن لم يتم علاجها على المستوى الوطني فإن تداعياتها وتكاليف علاجها سيشكل عبئاً ثقيلاً اجتماعياً واقتصادياً لا يستطيع أي مجتمع تحمله لاحقاً. فمن يبدأ حياته فقيراً متسرباً غالباً ما يبقى في دائرة العوز والفقر والجهل، وغالباً ما يعيد أبناءه الكرة فلا يستطيعون الإفلات من بين أيدي ذلك الوحش إن لم يأخذوا مستقبلهم بأيديهم ويجدوا قارب نجاة يعيد للدراسة أهميتها ويغلب فيها الأهل المصلحة الفضلى لأبنائهم على أي مصلحة أخرى.

## الأسباب الرئيسية التي تفسر تلك الظاهرة:

1. **الفقر والوضع الاقتصادي السيء:** لا شك ان بعض الأهالي الفقراء يجدون صعوبة في تغطية تكاليف الدراسة لأبنائهم ولكن هذا السبب غير كاف بحد ذاته، فإن اتحد مع انخفاض قيمة التعليم لدى تلك الأسر نراهم يجدون مخرجاً لأبنائهم وبناتهم الذين سيساعدونهم في تغطية التكاليف المعيشية، ليمسوا في الكثير من الحالات فريسة آفة لا تقل شراسة عن آفة التسرب وهي آفة عمالة الأطفال<sup>7</sup> التي تستهلك طاقتهم الجسدية والنفسية وتحولهم الى بالغين محدودي الأفق والطاقات.

2. **التسرب من المدارس:** هناك الكثير من العوامل المدرسية التي تساهم في تسرب الطلبة من مدارسهم كضعف قدرات بعض المعلمين في التعامل مع اختلافات القدرات التعليمية لطلبتهم، الأمر الذي يُشعر الطالب الضعيف بعدم القدرة، مما يسبب له إحساساً بالفشل وقلة الحيلة (ومن منا يرغب في أن يكون لوقت طويل في إطار يشعره باستمرار بأنه فاشل ولا يستطيع القيام بما هو متوقع منه من قبل معلميه وأسرته وهو النجاح في

6 إحصائيات بلدية القدس الإسرائيلية، 2017.

7 بن عيسى علي، عمالة الأطفال وعلاقتها بالتسرب التربوي. أطروحة دكتوراة، جامعة محمد خضير بسكرة. 2016.

الدراسة؟). لقد تحدث لنا الكثير من الطلبة الذين تم مقابلتهم عن ممارسات مدرسية تجعلهم يفكرون بالتسرب مثل تمييز المدرس بين الطلبة واستخدام العنف بأشكاله المختلفة من الإهانة وحتى العنف الجسدي كوسيلة للتعامل مع الطلبة وخصوصاً تجاه الطلبة ضعيفي التحصيل الدراسي، إضافة الى قلة البرامج اللامنهجية داخل المدرسة والتي من شأنها أن تجعلهم يشعرون بالانتماء لها، مقارنة بمدارس أخرى فيها فرق دبكة و فرق رياضية و فرق كشفية و دورات رسم و موسيقى و ما الى ذلك.

3. **قلة الأطر الإرشادية وبرامج التوجيه والإرشاد المهني في المدارس:** والتي قد تتيح الفرصة للطلبة بغض النظر عن مستواهم التعليمي -وبالأخص أولئك الطلبة ذوي التحصيل الدراسي المنخفض- التعرف على عالم المهن والتعرف على قدراتهم وقيمهم وميولهم المهنية وإكسابهم بعض المهارات والمهات المهنية التي ترفع من دافعيتهم بالقدوم الى المدرسة كل يوم، بسبب وجود ذلك الإطار الذي يشعرون بالتميز والالانجاز.

4. **مواقف الأهل من الدراسة:** إن إحدى التحديات التي تواجه العاملين في مجال مكافحة التسرب المدرسي هي تغيير مواقف بعض الأهالي وخصوصاً أولئك الذين تسربوا بأنفسهم من أطر التعليم، حيث أن مواقفهم سلبية أو حيادية تجاه أهمية إكمال أبنائهم وبناتهم دراساتهم المدرسية والالتحاق لاحقاً بالدراسة الجامعية او في الكليات المهنية.

5. **التزويج المبكر:** أربعة من كل عشر نساء يتزوجن تحت جيل التاسعة عشرة في فلسطين. الكثير من الصبايا يتزوجن قبل بلوغهم الخامسة عشرة. إحدى تداعيات التزويج المبكر هو تسريع ترك الطالبات مقاعد الدراسة وتحديد أدوارهن الاجتماعية في الانجاب وتربية الأطفال والاهتمام بالبيت. لا تزال حتى اليوم مواقف المجتمع محابية لتلك الظاهرة المجتمعية المرتبطة بآثار صحية واجتماعية ونفسية سيئة على الفتاة وعلى أسرتها.

## الحد من الظاهرة

كيف يمكن مساعدة سمير ابن الصف السابع الذي يعاني من ضعف في الرياضيات من التسرب، وكيف يمكن تغيير مواقف سلمى التي تشعر بالتمييز والعنصرية تجاهها أحياناً من قبل معلماتها إما بسبب تحصيلها أو بسبب سلوكياتها أو بسبب لون بشرتها؟ وكيف يمكننا كأولياء أمور الحفاظ على أبنائنا وبناتنا على مقاعد الدراسة أطول وقت ممكن؟ سنعرض بعض التوصيات يمكن إن تم اتباعها التخفيف من حدة تلك الظاهرة:

1. بما أن هذه الظاهرة تبدأ بالتشكل في سنوات مبكرة، يمكن ملاحظتها والبدء بالعمل عليها مبكراً. الكثير من الطلبة الذين تنبأنا تسربهم في الصفوف الابتدائية تسربوا لاحقاً. إذًا، هناك الكثير مما يمكن لمربي ومربيات الصفوف والمرشدين والمرشحات التربويين ومعلمي ومعلمات التربية الخاصة عمله لرفع مستوى هؤلاء الطلبة لضمان بقائهم على مقاعد الدراسة.

2. تحسين نوعية التعليم في المدارس وتوفير الميزانيات لذلك، من أجل رفع شعور الطالب بالقدرة، فكما أشرنا سابقاً «نستطيع جلب الحصان الى النبع ولكن يصعب علينا إجباره أن يشرب» وبالتالي علينا أن نوفر في مدارسنا البرامج والمناهج التي تعتمد فلسفة «التعليم للجميع»، وفلسفة «عدم إبقاء أي طالب في الخلف» والتي بدورها تخلق المعنى للطلبة من ذوي التحصيل المتأخر والتحديات السلوكية لوجودهم وبقائهم على مقاعد الدراسة.

3. إرشاد وتأهيل الطواقم التدريسية للتعامل مع الاضطرابات التعليمية والاحتياجات الخاصة ومعالجة القضايا السلوكية في المدارس بصورة مهنية، وذلك من خلال تغيير جذري في برامج تأهيل المعلمين في الكليات والجامعات.

4. توفير أطر في المدرسة نفسها تساعد الطالب على التخطيط لمستقبلهم لاحقاً (معرفية ومهاراتية)، إضافة الى مساعدة الطلبة بالتعرف على قدراتهم وميولهم وقيمهم المهنية، واكسابهم المهارات الأساسية في الورش التدريبية التي على المدارس بنائها لمساعدة الطلبة على اكتشاف قدراتهم واكتساب مهارات ترفع من شعورهم بالانتماء للمدرسة ومن شعورهم بالنجاح والتميز.

5. العمل مع الأهالي وخصوصاً ممن لديهم مواقف سلبية أو حيادية تجاه أهمية التعليم أو ممن لديهم مواقف إيجابية تجاه التزويج المبكر، واكسابهم المعارف الضرورية وتوعيتهم بمخاطر آفة التسرب والتزويج المبكر ودعمهم في تطوير مواقف أكثر إيجابية تجاه أهمية اكمال الدراسة كرافعة مهمة في تطور الفرد وأسرته لاحقاً.

6. قيام المدرسة بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني بخلق الحيز وتنفيذ الأنشطة اللامنهجية الفنية والثقافية والرياضية داخل المدرسة والتي بدورها تساهم في رفع شعور الطلبة بالتميز وتزيد من شعورهم بالانتماء لمدرستهم.

"تم إصدار هذا المقال بدعم من الاتحاد الأوروبي. إن محتويات هذا المقال هي من مسؤولية المؤلف ولا تعكس بأي شكل من الأشكال وجهة نظر الاتحاد الأوروبي."

تم كتابة هذه المقالة كجزء من حملة العلم بحر التي تنفذ من ضمن مشروع حراك المنفذ من قبل مؤسسة الرؤيا الفلسطينية بالتعاون مع مؤسسة مساعدات الكنيسة الدنماركية (DCA) وبتنفيذ من الاتحاد الأوروبي على مدار 3 سنوات (شباط -2016 شباط 2019)، لدعم التغيير لدى المقدسين/ات من خلال تطوير القيادة المجتمعية والدفاع عن حقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يكفلها القانون الدولي الإنساني.